الأسلوبية الصوتية في سورتي التكوير والانفطار

Vocal stylistics in the suras of Al-Takweer and Al-Infitar

د. أحمد مصباح سحيم

جامعة بنغازي، كلية الآداب، قسم اللغة العربية

ahmedesshaim@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/22 ؛ **تاريخ القبول :** 2023/05/06

المُلخص: يقوم هذا البحث بدراسة الأسلوبية الصوتية باعتبارها عنصراً جديداً من عناصر علم الأساليب الذي اعتبره كثر من أهل الأدب وعلماء النقد بديلاً عن البلاغة العربية القديمة، ومجال تطبيقها.
وتمثلت الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم أجمل تمثيل في سورتي التكوير والانفطار.

This research studies phonological Stylistics as a new element of Stylistics, which was considered by many literary and critical scholars as an alternative to the old Arabic rhetoric, and its application.
The vocal stylistics in the Holy Qur'an is best represented in the suras of Al-Takwir and Al-Infitar.

المقدمة:

الحمدلله العالمين ، والصلاة والسلام علي اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فللصوت العربي قيمةٌ كبيرة من حيث الوصف والمعني والوظيفة التعبيرية قديماً وحديثاً، ومن بين ثمراته على مستوى الدرس اللساني الحديث ظهور الأسلوبية الصوتية (phonosty listics)([1]) التي انبثقت عن الدرس الأسلوبي بعد ما اتسعت أبعاد الدرس اللساني واشتركت مع ميادين معرفيه أخري .

([1]) الاسلوبية الصوتية فرع من علم الأسلوبية stylistcs يهتم بالجانب الصوتي والفونولوجي في النصوص الجميلة حيث يساعد في كشف التوظيف الصوتي لتجسد الخيال وتحقيق الصورة شارحاً أبعاد التكرار والتقابل والتوازي في مستوي الأصوات المفردة ومستوي السياق الصوتي تتابعاً وتطريزاً معتمداً علي مصطلحات علم

● **إشكالية البحث** : تتحدد اشكالية البحث في إبراز قيمة الصوت العربي دلالياً عن طريق ربط وصفه نظرياً بقيمته الإيقاعية من خلال ما يحدثه من توازنٍ صوتيٍ أو موسيقي داخل النص ، ومجال هذا البحث هوالنص القرآني ؛ باعتباره معجزاً عن الصعد اللغوية كَافةً،إذ أن هناك ظواهر صوتيةً كالتنغيم والوقف والنبر .....اعْتُبِرت مجال بحث على مستوى الأسلوبية الصوتية ، وقد أمكن تطبيقها في بحوث عملية كثيرة، والمجال التطبيقي لهذه البحوث هو القرآن الكريم والشعر العربي منذ ظهور هذا المصطلح – الأسلوبية الصوتية – وحتي يوم الناس هذا .

● **أهداف البحث:** يهدف هذا البحث إلي:

1- إبراز قيمة الظواهر الصوتية في القران الكريم وأثرها في المعني .

2- التعرف علي القيمة الجمالية للأصوات العربية داخل النص القرآني

3- إظهار قيم دلالية وأسلوبية في سور القرآن الكريم وإثباتها صوتياً عن طريق الأسلوبية الصوتية باعتبارها أحد طرق البحث الأسلوبية الوافدة إلينا من الدرس اللساني الحديث.

● **الدراسات السابقة** :- باعتبار أن الأسلوبية الصوتية فرعٌ عن الأسلوبية التي ظهرت منتصف القرن العشرين، والذين عارضوا هذا المصطلح ولادةً وتفاعلاً هم في طالعة من كتبوا فيه وطبقوه علي النصوص العربية، ومن بين هؤلاء :

1- د. تمام حسان في دراسته الصادرة سنه 1993 م بعنوان : **البيان في روائع القران دراسة اسلوبية في النص القرآني**، حيث أثبت من خلال دراسته قيمة الظواهر الصوتية في بيان جماليات النص كالفاصلة، والسجع، وما تضيفه الظواهر التركيبية كالتقدم والتأخر والحذف ....الخ من جماليات على صعيد بنية النص بكاملهـ تجسدت عنده في النص القرآني الكريم

2- د. محمد ابراهيم شادي في دراسة له بعنوان : **البلاغة الصوتية في القران الكريم** – الصادرة سنة 1988 م – مؤسسة الرسالة – القاهرة وهي دراسة تؤصل للظواهرالصوتية في القران الكريم ضمن مستوى البلاغة وتحديداً عند علماء الاعجاز، وما سجله الشيخ عبد الجرجاني 471 هـ من ممارسات صوتية لعلماء البلاغة والتي تمس جانب الإعجاز، وعنده أن البلاغة الصوتية : هي كل وسيلة صوتية تتحقق فيها البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين وعليه لابد من ملاحظة أمرين :

الأول : أن البلاغة الصوتية تتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه وإيقاعه واعتداله إلي ما يحدثه من ابراز المعني وتأكيده وتسلسله وانتظامه .

الثاني : أن يتحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضي الحال ([1])

هذا عن الإطار النظري لدراسة لدكتور محمد إبراهيم شادي وهي وإن كانت سابقة علي دراسة تمام حسان إلا أنني قدمت دراسة تمام حسان عليها؛ باعتبارها معتمدة علي الأسلوبية الصوتية الجديدة بخلاف دراسة محمد إبراهيم شادي المبنية على التراث البلاغي .

ثم فتحت هاتان الدراستان الباب علي مصراعيه في دراسة الأسلوبية الصوتية بالوجهتين البلاغية القديمة والأسلوبية الجديدة ومن هذه الدراسات :

3 – دراسة الدكتور سيد خضر بعنوان : **الفواصل القرآنية دراسة بلاغية الصادرة** عام 2000م عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، هذه الدراسة متكئة علي التراث اللغوي عامة، والبلاغي خاصة مبرزة دور الظواهر الإيقاعية في نهايات الجمل العربية ، ثم ربط هذه الظواهر بمبحث الفاصلة القرآنية من وجهة نظر بلاغية في سورتي البقرة والأسراء .

4– دراسة جامعية للبحث : عثمان لا لوسي (رسالة ماجستير) بإشراف : أ د : عيسي لحيلح ، جامعة منتوري – قسنطينة – 2009 م بعنوان : **الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكري**م، متخذة من الفاصلة القرآنية، ومبحث السجع والتناسب مجالا تطبيقا لهذا البحث .

5 – دراسة الباحث مبارك حنون بعنوان : **في التنظيم الإيقاعي للغة العربية نموذج الوقف** الصادرة عن الدار العربية للعلوم ناشرون، ودار الأمان بالرباط عام 2010 م قدمت هذه الدراسة تأصيلا للمسائل الإيقاعية في اللغة العربية ،مبينا فيها أصول البحث الصوتي عند العرب للأسلوبية الصوتية، معرفا بمجال اللسانيات الصوتية في الدراسات الأوروبية ، مع إمكانية مقارنتها في اللغة العربية، وذلك ضمن مباحث عديدة سبق له بحثها، ومن بينها ما خصصه في هذه الدراسة ألا هو نموذج الوقف وهي دراسة تجمع ما بين الوجهتين التراثية واللسانية الحديثة، وقد كان في مستوى البحث التراثي متنقلا ما بين اللغويين والنحاة والقراء؛ باعتبارهم قد اشتركوا فيما بينهم ببحث الإيقاع والصوت العربي للغة العربية ، وقد أطلق علي هذا الاشتراك بين علماء العربية في بحثهم للمسائل الصوتية اسم التطريز الصوتي .

6 – دراسة جامعية للباحثة : غادة فوارته خارف ، (رسالة ماجستير) بإشراف أ. د .محمد جواد النوري – جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين عام 2021 م بعنوان: **الأسلوبية الصوتية في سورة القصص**، وفي هذا البحث أرخ الباحث للأسلوبية الصوتية من خلال علم الأسلوب الموضح سابقا ، وانحصر مجال البحث في سورة القصص جامعة في ذلك بين وجهتي البحث البلاغية والصوتية الجديدة .

الأصوات phonetics والفونولوجيا)) محمد صالح الضالع ، **الأسلوبية الصوتية**، دار غريب للطابعة والنشر ،القاهرة ، 2002 ، صـــ15

([1]) **البلاغة الصوتية في القرآن الكريم** ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، 1988م ، صـــ11

هذا عن الدراسات السابقة في موضوع الأسلوبية الصوتية هذا الوافد الجديد الذي أثرى مجال البحث لبلاغة النص من مستوى الصوت والتزامن والإيقاع والتوافق تنغيما ونبرا وجهرا وهمسا وابتداء ووقفا، وكلها بضاعتنا ردت إلينا، وقدا أفدت منها في إعداد هذا البحث علي مستوى التأطير والمنهج .

- **المنهجية :-**

اتبع في بحث (الأسلوبية الصوتية في سورتي التكوير والانفطار) دراسة بلاغية إيقاعية المنهج الوصفي، وقد تم تعزيزه أيضا بالتحليل والمناقشة للمصطلحين الصوتي والبلاغي، اسوة بالدراسات السابق ذكرها، وتمشيا مع أهداف هذه الدراسة.

- **خطة البحث** : وضعت خطة هذا البحث بدءا بعنوانه: **الأسلوبية الصوتية في سورتي التكثر والانفطار** علي النحو الاتي :

1 – مقدمة عامة تضم الهيكل العلمي لفكرة البحث وأهدافه ومنهجيته والدراسات السابقة في هذا الموضوع .

2 – مدخل البحث وعنوانه: **من بلاغة الإيقاع إلي الأسلوبية الصوتية عرض وتوضيح** ، اشتمل هذا المدخل علي التعريف بالإيقاع وعلاقته ببناء النصوص وإظهار قيمتها مع بيان العلاقة بينه وبين الأسلوبية اختلافها وتنوعها .

3 – المبحث الأول وعنوانه :

الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير (بلاغة وإيقاعا) ويشتمل علي مطلبين اثنين هما :

* المطلب الاول : **البنية الأسلوبية لسورة التكوير**

* المطلب الثاني : **الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير**

يُعْنَى هذا البحث بإبراز مظاهر الإيقاع الصوتي في سورة التكوير، وذلك بتتبع خصائص الأصوات المؤسسة لبنية المفردات والتراكيب في آي السورة محددا أبرز سماتها ضمن مفهوم الأسلوبية الصوتية .

4 – المبحث الثاني وعنوانه : **الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار**

ويشتمل علي مطلبين اثنين هما:

* المطلب الاول : **البنية الأسلوبية لسورة الانفطار من خلال (البلاغة الإيقاعية)**

* المطلب الثاني : **الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار .**

خُصِّصَ هذا المبحث بمطلبيْه للحديث عن الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار ضمن مستوى الإيقاع البلاغي والأسلوبية الصوتية من خلال أصواتها وتراكيبها المنتظمة والمتوافقة إلي حد كبير مع ما جاء في سورة التكوير .

5 – خاتمة تضم أهم نتائج هذا البحث .

6 – قائمة بالمصادر والمراجع

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

مدخل الدراسة : من بلاغة الإيقاع إلي الأسلوبية الصوتية – عرض وتوضيح

اعتني علماء العربية بالأصوات اللغوية عناية بالغة، وقد خص البلاغيون من بينهم الأصوات العربية بعناية خاصة بدءا بشروط الفصاحة وعدم التنافر إلى قوة المعنى بناء علي قوة الألفاظ يقول الجاحظ 205 هـ :" إن المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا واعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنهجه المتكلم دلاً متعشقاً صار في قلبك أحلى ولصدرك املي" ([1])

ويتصاعد به الإصرار علي قيمة الصوت بلاغيا حين يقول : " ومن حروف الكلام وأجزاء الشعر ما نراها سهلة لينة ورطبة مواتية ، سلسة النظام ، خفيفة علي اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمه واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد " ([2])

وقد أكد هذا المبدأ أيضا أبو الفتح بن جني 389 هـ حيث اهتم اهتماما ملحوظا بمحاكاة اللفظ للمعنى ، ولم يكن اهتمامه بالمحاكاة لذاتها ، وإنما لما يستتبع ذلك من قوة الدلالة؛، لأن اللفظ كلما كان أشبه بالمعنى وأكثر محاكاة له كان أدل عليه " فكلما ازدادت العبارة شبها بالمعنى كانت اول عليه واشهد لا لغرض فيه" ([3]) .

وعن هذا النص يقول د. محمد شادي إبراهيم : "وهذا من صميم البلاغة الصوتية التي تلتقي مع موضوعات علم البيان في غرض اصيل هو قوة الدلالة ووضوحها"([4])

هذا عن بعض الأصول النظرية لمفهوم البلاغة الصوتية أو الإيقاعية وإن كانت كلمة إيقاع تقترب كثيرا من الاصطلاح العروضي ، المختص بالشعر إلا أنه لا مشاحة في الاصطلاح، فالإيقاع من مصطلحات علم الأصوات كذلك، ودلالته التعبيرية استخدمت في القران الكريم وكلام العرب .

من أبرز البلاغيين الذين تعرضوا لقيمة الأصوات في بحث مسألة التعبير وجودته – ابن سنان الخفاجي رحمه الله 466 هـ – " فهو يرى بان حاجة الناظر في علم الفصاحة والبلاغة لمعرفة مخارج الحروف وأوصافها أمر ضروري؛ لأن الكلام ينتظم منها" ([5])

---

[1] **البيان والتبين** ، تحقيق عبدالسلام هارون ، د ت : 1 / 254

[2] المصدر السابق ، 1 / 255

[3] **الخصائص** ، 2 ، 154

[4] **البلاغة الصوتية في القران الكريم** ، مؤسسة الرسالة ، 1988 م ، ص 15 .

[5] **سر الفصاحة** ، تحقيق عبدالمتعال الصعيدي ، القاهرة 1952 م ، 21 ، وشرقي ضيف ، **البلاغة العربية تطوروتاريخ** ، دار المعارف ، الطبعة الثامنة ، 1990م ،ص 152 .

وهو هنا متأثر بعلماء التجويد، هذا من حيث التأصيل للبلاغة الصوتية عند الأسلاف ، وقد لاقت في العصر الحديث انفتاحا كبيرا من جهتي التطبيق والتنظير، فمن ناحية التطبيق عمد كثير من الباحثين إلى إبراز هذا الجانب كما سبق بيانه في الدراسات السابقة من هذا البحث، وأما من ناحية التنظير فقد أجري على مصطلح البلاغة الصوتية عدة مقاربات مع مصطلحات اللسانية الحديثة وصولا إلي الأسلوبية الصوتية والسؤال الآن : ما الأسلوب الصوتية ؟ ومتى استخدمت ؟

مصطلح الأسلوبية الصوتية هو أحد فروع علم الأسلوبية stylistics يهتم بالجانب الصوتي والفونولوجي في النصوص الجميلة حيث يساعد في كشف التوظيف الصوتي لتجسيد الخيال وتحقيق الصورة شارحا أبعاد التكرار والتقابل والتوازي في مستوى الأصوات المفردة ومستوى السياق الصوتي تتابعا وتطريزا معتمدا علي مصطلحات كل من علم الأصوات والفولولوجيا ([1])

ويتحدد مجاله في دراسة النواحي اللسانية التعبيرية من جهة :

* التشكيل الصوتي اللغوي والصوتي والبلاغي في النصوص عامة يضاف إليها التشكيل الصوتي العروضي في النصوص الشعرية خاصة .

* التطريز الصوتي في الاستغراق الزمني والوقف الابتداء والتنغيم والإيقاع

* فن إلقاء النصوص وأدائها ، وطرق عرضها ، ومهارات الإقناع الخطابي ([2])

وهذه المحددات مما أغنى به الأسلاف رحمهم الله مجال البحث في علوم اللسان من قراءات وتجويد وأصوات ، وما نراه اليوم من انفتاح هو امتداد لها .

أول من استخدم مصطلح photo stylistic هو نيقولاي تروبتسكوى في كتابه أصول الفونولوجيا الذي ظهر أول مرة في ألمانيا عام 1936 م في مطبوعات جماعية براغ اللغوية، ثم ترجم إلي الفرنسية بعد ذلك بعشر سنوات، ثم إلي الإنجليزية بعد ذلك بعشرين سنة أخرى ([3])

يقع هذا العلم – الأسلوبية الصوتية – ضمن ثلاثة مستويات :

1 – المستوى التعبيري

2 – الناحية التأثيرية

3 – الناحية التي تتناول طريقة عرض الأصوات (مستوى الشكل) وثلاثتها طبقت علي النصوص النثرية والشعرية، وقد لاقت صدى واسعا في نصوص العربية حتى علي مستوى الخطاب السياسي والديني المعاصر ([4])

---

[1] محمد صالح الضالع ، **الأسلوبية الصوتية** ، دار غريب ، ص 15 .

[2] محمد صالح الضالع ، **الأسلوبية الصوتية** ، ص 15 بتعرف .

[3] ميلكاالينتش ، **اتجاهات البحث اللساني** ، ، ترجمة سعيد مصلوح ووفاء كامل فايد ، ط 2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000 م ، القاهرة ، ص 237 .

[4] محمد صالح الضالع ، **الأسلوبية الصوتية** ، ص 16 .

هذه المستويات الثلاثة تتحدد من خلالها الأسلوبية الصوتية والبلاغة الإيقاعية، ومجالها التطبيقي النصوص علي تنوعها وتعددها، والنصان المختاران للتطبيق هما: الأول سورة التكوير، والثاني سورة الانفطار ([1])

المبحث الأول :

الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير (بلاغة وإيقاعا)

*** المطلب الاول : البنية الأسلوبية لسورة التكوير**

*** الطلب الثاني : الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير**

1.1 البنية الاسلوبية لسورة التكوير (الإيقاعية البلاغية)

سورة التكوير مكية وعدد آياتها تسع وعشرون آية ، بدأت بأسلوب الشرط المتضمن لمعنى الظرف مبرزة علامات يوم القيامة، وقد جاء أسلوب الشرط في أربع عشرة آية إلي قوله تعالى : {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} التكوير آية "14" .

وختام الآي علي فاصلة تاجية مما أحدث توازنا إيقاعيا، والتوازن : هو تماثل لغوي قائم علي تعادل المباني أو المعاني المترابطة في سطور متطابقة الكلمات والعبارات والأصول، يحكمها توزيع صوتي واحد، فيحدث ذلك إيقاعا وتنغيما منسجما يسهم في ترابط النص وتماسكه ([2])

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}

}وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} {وإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ}

}وَإِذَا الْنُجُومُ سُيِّرْتْ } }وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطِتْ }

}وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ } }وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرتْ }

}وَإِذَا الوْحُوشُ حُشِرَتْ } }وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}

{وإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ } { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ }

}وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ }

{ وإِذَا الموؤد سُئِلَتْ }

---

[1] ينظر علي سبيل المثال دراسة د.نوال بنت ابراهيم الحلوة ، **التطوير الصوتي لسطح النص دراسة البني التوازن في خطبة الشيخ الدكتور صالح بن حميد امام وخطيب الحرم الملكي ، (مقاربة نصية)** الرياض – 2012 م منشورات المجمع ، المملكة العربية السعودية .

[2] محمد العمري ، **الموازنات الصوتية ،في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية** ، افريقيا الشرق، 2001، ص121

سورة التكوير كما يقول القاضي الكرماني رحمه الله 505 هـ : "سورة التكويرمن أولها شرط وجزاء وقسم وجواب " ([1])

ومن جهة البلاغة الإيقاعية: ففي السورة استفهام ورد في قوله تعالي {بِأَيِّ ذَنَبٍ قُتِلَتْ} آية9 والحديث عن المؤودة وهي البنت التي دفنت وهي حية ، وهذه منتهى الوحشية من سفهاء الجاهلية ، وفي هذا الاستفهام التوبيخ، وقد ناسب التهويل في كثرة أساليب الشرط في سورة التكوير هنا وقلته في الانفطار ، ففظاعة الجرم متناسبة من حيث المعنى مع كثرة أسلوب الشرط الذي يعد بمثابة التهويل والتخويف لمرتكبي هذه الجريمة،وناسبت ما قبلها ((وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)) آية 7 ؛ لتكون بمثابة السبب والنتيجة المترتبة عليه بولادة البنت التي صارت موؤدة ثم قتلت .

اما القسم فقد جاء في قوله تعالي : {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} الآية 17 ، 18

ومعنى عسعس أقبل بظلامه ، وتنفس أضاء وأشرق ، وفي هذه الآية من جمال الاستعارة البديعية ما يأخذ بالألباب فقد شبه النور ينبلج به الصبح بنسمات الهواء العليل ، يحيي القلب والنفس، وشبه الفجر بالنائم يغط في سبات عميق ، والفجر حيٌ يتنفس أنفاسه (النور والحركة الضياء) كأنه كان نائما ثم استيقظ ، فاستنشق الهواء المنعش للنفس واستعاد نشاطه وحيوية ([2])

وجواب هذا القسم في قوله تعالى : {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} آية 19 وأضيف القرآن هنا إلي جبريل وهو في الحقيقة قول الله عز وجل ؛ لأنه نزل به من عند الله فإسناده إليه مجاز باعتبار أنه السبب في نزوله كما قال تعالى : {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} الشعراء الآية: 193 ([3])

وفيه – أي إضافة القرآن إلي جبريل – دليل علي وصف جبريل بالقوة والمكانة عند الله تعالي

هذا عن بناء السورة الكريمة من حيث الشرط والجزاء والقسم والجواب في السورة ايضا ملامح بلاغية تتمثل في :

الكناية في قوله تعالي : {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} آية 22 حيث لم يقل جل وعلا : وما محمد بمجنون ، وإنما كنى عنه بقوله: (صاحبكم) دون اسمه الشريف؛ لتوبيخهم وبيان سخافة ما افتروا به عليه من الكذب ورميهم له بالجنون .

وفي قوله تعالى : {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} الاستفهام للتوبيخي والمعنى فيه : ليس هذا القران المعجز من قول بعض الشياطين كما افتري وزعمتم فاين تذهب عقولكم في تكذيبكم لهذا القران مع سطوع بيانه وروعة واعجازه كمايكل لتارك الجادة اعتسافا او وذهابا في بينات الطريق : اين تذهب ؟ ([4])

---

[1] عبدالواحد حسن الشيخ ، **البديع والتوازي** ، مطبعة الاشعاع الفنية ، الطبعة الاولى 1999 م ، ص7 .
[2] محمد علي الصابوني ، **الإبداع البياني في القران العظيم** ، الكتبة العصرية بيروت ، ط 1 ، 2006 ، ص 396 .
[3] **المصدر نفسه** ، ص 397 .

[4] محمود ين عمر الزمخشري ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل في وجوه الأقاويل** ، دار الكتاب العربي ، دت ، 4 / 713

ومظهر التناسب الايقاعي بلاغيا من خلال بنية الأسلوب في سورة التكوير :

الشرط ، والقسم ، والجزاء والجواب .

* التناسب التعبيري من خلال تكرار أسلوب الشرط ، للتهويل

* التصاعد الصوتي تبعا للقسم والجزاء والجواب

* والتغاير الصوتي إلي فاصلتي الميم والنون في جوابي القسم تأكيداً لمضامين أفعال الخصم

ما صاحبكم بمجنون 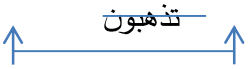

ما هو بقول شيطان رجيم 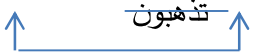

وهما: (الميم والنون) من حيز نطقي واحد.

هذا عن البنية الأسلوبية والإيقاعية البلاغية .

1– 2 الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير :

تأسيا علي الإيقاعية البلاغية في المطلب السابق والممتثلة في التوازن في الأساليب المشار إليها سابقا : الشرط ، والجزاء والقسم والجواب ، بالإضافة ما تخللها من :

أ – التسميط : وهو أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة أو مقفاة، ثم تجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضي، أو الرسالة حتى تنتهي فتصبر كالسمط الذي احتوى علي جواهر متشاكلة ([1])، وهو ما أشار إليه ابن رشيق رحمه الله 456 هـ نقلا عن أبي القاسم الزجاجي أنه سمي بذلك تشبيها بسمط اللؤلؤ وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حبه ([2]) ، يقول ابن النقيب رحمه الله ، ومنه : قوله تعالى : {إِذَا الشَّمسُ كَوَّرَتْ وَاذَا النُّجُومُ اِنْكَدَرَتْ} إلي قوله تعالى : {عَلَمَتْ نَفْسُ ما أَحْضَرتْ} ، وقوله تعالى : ((فَلَا أُقْسُمْ بِالْخُنسّ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلَ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحَ اذا تُنَفَّسُ))

ب– تجنيس التصريف : وهو أن يكون الحرف فرقا بين الكلمتين ومنه قوله تعالى : { فَلَا أُقْسُمْ بِالْخُنّسِ وَالْجَوَار الْكُنَّسِ} ([3])

الأمر الذي ترتب عليه مسارٌ إيقاعي خاص أظهر هذا المسار الإيقاعي تنغيما صوتيا ما بين فاتحة السورة ممثلة في أسلوب الشرط المتوازنة علي فاصلة تائية وانتقالا إلي القسم بمغايرة فواصل آيه إلي السين ؛ ليدل

[1] ابن النقيب ، **مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع واعجاز القران** ، كشف عنها وعلق على حواشيها : زكريا سعيد علي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ، 1995 م ص 478 .

[2] **العمدة في صناعة الشعر ونقده** 16 / 180 .

[3] ابن النقيب ، **مقدمة تفسير ابن النقيب** ، ص 500 .

علي سهولة اختفاء النجوم الموصوفة بالخنس نهارا، وظهورها في الليل ضياء، والكنس نجوم تسير في أفلاكها ثم تدخل في كناسها وهو – الكُناس – الكهف الذي تأوي إليه الظباء .

هذان المظهران : التسميط وتجنيس التصريف ألَّفا نوعا من التراتبية الأسلوبية من جهة الصوت الموافق تمام الاتفاق مع جودة المعنى التعبيري ، وفيما يلي توضيح ذلك في النقاط الاتية :

1– ناسب مطلع السورة المتضمن للشمس والنجوم حقائق ما في نفوس المشركين باعتبار اختفائها وظهورها كونهم يظهرون الإيمان تارة ويخفونه تارة .

2 – تعتبر النجوم آيات واضحة للمشركين تهديهم في مسالكهم و أسفارهم وهي من صنع الله فناسب ذلك أن أقسم الله بها؛ دلالة علي عظمتها وتعزيزاً للمشركين بها وبمساراتها .

3 – مَثَّلَ صوت السين مبدأ السهولة والحركة ذهاباً وإياباً باعتبار أن ذلك من صفات النجوم وسير الكواكب في أفلاكها .

4 – أدى هذا الإيقاع البلاغي إلي توازن نصي بين تراكيب الآي في سور القرآن بما فيها سورتا التكوير والانفطار .

5– هذا الإيقاع كما بَيَّنَ الدكتور تمام حسان رحمه الله أنه واقعٌ في نطاق التوازن لافي نطاق الوزن ، فالوزن في العربية للشعر والتوازن في الإيقاع للنثر، والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون .

إن الناظر في الأسلوبين الإيقاعين علي مستوى البلاغة والاسلوبية الصوتية في سورة التكوير سيرى ذلك الأثر موجوداً أيضا في سورة الانفطار، وهو ما سيبحث في الجانب الثاني من هذا البحث .

المبحث الثاني:

الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار

– المطلب الأول : البنية الاسلوبية لسورة الانفطار من خلال (البلاغة الإيقاعية)

– المطلب الثاني : الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار

1.2 البنية الاسلوبية لسورة الانفطار (من خلال البلاغة الايقاعية)

اشتملت سورة الانفطار علي ملمح أسلوبي عام تحدد في : الشرط والجزاء، والقسم وجوابه ([1]).

هذا باعتبار التوافق بين الصوتين – سورة التكوير – وسورة الانفطار – وللتوافق وجوه سبق بيانها، فماذا من الاختلاف؟

فمثلاً في التكوير ﴿ وَإِذا الْبِحَارُ سُجرتْ ﴾الآية 6، وفي الانفطار :

﴿ وإِذ ذَا الْبِحارُ فُجرت ﴾ الآية 3 ؛ لأن معني سُجِّرت عند أكثر المفسرين أُوقِدَتْ فصارت ناراً من قولهم : سُجِّرَت التنورُ، وقيل : هي حجار جهنم تملأ حميماً فيعاقب بها أهل النار فخُصَّت هذه السورة سُجِّرَت موافقة لقوله : ﴿ سُعِرَتْ ﴾ ليقع الوعيد بتسعير النار وتسجير البحار ([2])

كذلك في التكوير ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ اِنْكَدَرَتْ﴾ الآية 2،وفي الانفطار :﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أَنَتَرَتْ﴾ الآية 2 أي تساقطت، وفي الكواكب الانفطار استعارة مكنية ([3]) : حيث شبه النجوم بجواهر منتظمة في عقد قُطع سلك هذا العقد، فتناثرت متفرقة وطوي ذكر المشبه به وهو العقد المنظوم ورُمِز له بشيء من لوازمه وهو الانتشار وعلي طريقة الاستعارة المكنية ([4])

وفي الانفطار : ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بَعْثَرَتْ﴾ الآية4 وفي التكويركان المقابل ﴿_وَإِذَا المودة سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلَتْ ﴾ وهي أي الكواكب والبحار والقبور قلبت وأثيرت وهذه كلها زايلت أماكنها فلاقت كل واحدة قرائنها ([5])

كذلك في التكوير: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الآية 14 ، وفي الانفطار :﴿ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الآية 5؛ لأن ما في السورة متصل بقوله :﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نَشَرَتْ﴾ فقرأها أربابها فعملوا ما أحضرت، وفي

([1]) الكرماني ، **أسرار التكرار في القرآن الكريم** ، صـــ246

([2]) **المصدر السابق** صـــ246

([3]) الاستعارة المكنية : هي التي حذف فيها المشبه وأُشير إلية بإحدى لوازمه مثل قول أبي ذؤيب الهذلي : وإذَا الْمَنِيةُ أَنْشَبَتْ أَظفَارهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمةٍ لاَ تَنْفَعُ ينظر **التلخيص في علوم البلاغة**، ص139

([4]) محمد علي الصابوني ، **الإبداع البياني في القرآن العظيم**، صـــ398

([5]) الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن الكريم صـــ246

الانفطار متصل بقوله : ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بَعْثَرَتْ﴾ والقبور كانت في الدنيا، فيذكرون ما قدموا في الدنيا وما أخروا في العقبى ([1])

كذلك الاستفهام في قوله تعالي ﴿ يأَيُّهَا الْإِنْسَانُ ما غرك بُوبك الْكَرِيمَ﴾ الانفطار الآية 6 ، وهو للعتاب والتوبيخ بمعني : كيف تجرأت عل عصان ربك مع إحسانه إليك والمقصود بالإنسان هنا هو الكافر؛ بدليل التوبيخ ([2])

أيضاً تكرار لفظ الاستفهام في قوله تعالي: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ ما يوم الدِّينِ ﴾ الانفطار الآية 18، 19 لزيادة التهويل والتعظيم لأمر يوم القيامة كأنه من الهور والشدة فوق الوصف والخيال ([3])

والناضر لفواصل سورة الانفطار سيري حسن انتظام وتوازن ليس فقط من جهة الفاصلة القرآنية، بل علي مستوى التصاعد والترتيب، موافقاً موازياً لما في سورة التكوير، وبما أن طالعة السورتين شرطية فقد تميزت مطالع سورة القرآن المبدوءة بأسلوب الشرط بعدة خصائص ذكرها الدكتور عبد العظيم المطعني هي :

1- أن الطابع الغالب عليها أنها مكية النزول ماعدا سورة الزلزلة حيث نزلت في المدينة، والنصر التي فيها رأيان .

2- أن معظم هذه السور تتحدث عن يوم القيامة ومقدماتها مع ما اقترن به الحديث عنها من أغراض أخرى لها بالمقام نسبٌ ورحمٌ.

3- – أن هذه السور السبع المجموعة الشرطية أو في القسم الشرطي موضوعاتها أمور مستقبلية في الغالب استقبالاً حقيقياً .

4- أن الحديث فيها عن مشهد أو مشاهد من يوم القيامة أوعن أمر يتكرر من مظاهر الطبيعة، وسنة الله في الكون أوعن مصير محتوم فالأداة المفصلة هي (إذا) المؤذنة بتحقيق شرطها وحوابها.

5- أما القيمة البيانية لهذا المطلع الشرطي فهي أن الأسلوب الشرطي يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً ملاحظاً فيه ترتيب السبب على المسبب فإذا ذكرت أداة الشرط وأردفت بفعل الشرط تشوقت النفس إلي ذكر ما سيكون ([4])

هنا عن القيمة البلاغية لمضامين الأسلوب في سورة الانفطار.

2-2 الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار

لا يخفى علي القاريء لسورتي التكوير والانفطار ما بينهما من التقارب والتماثل علي المستوى الصوتي وكذلك التركيبي .

([1]) المصدر نفسه ، صـــ246

([2]) محمد الصابوني ، الابداع البياني في القران العظيم ، صـــ398

([3]) المصدر نفسه صـــ398

([4]) **خصائص التعبير القراني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة، القاهرة، 2014م، 198/1.

وقد مضى في المبحث الخاص بالأسلوبية الصوتية لسورة التكوير القيمة الصوتية لمفهوم التوازن، وقد ذكر الدكتور محمد العمري له شروطا ثلاثة هي : الكثافة ،والفضاء والتفاعل ، وثلاثتها متفقة في نص سورة الانفطار لاسيما عنصر التفاعل الذ ي حدده تمام حسان رحمه الله في الوزن والتوازن معتبراً إياها من صور الإيقاع وهي "من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالا للفن والجمال، أما الوزن فحسبك أن تتأمل ما يمنحه من الجمال للشعر والموسيقى ونحوها ، وأما التوازن فيكفي أن تنصت إلي صوت قاريء مجيد يرتل القرآن الكريم ولا أقصد ترتيل التطريب بل الترتيل بدون تطريب وسترى عندئذ أن ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحيانا جمال الوزن، وانظر كذلك إلي الكثير من أساليب الترتيل وبخاصة ما بني منها على قصار الجمل وسوف ترى لها جاذبية خاصة تجتذب إليها انتباهك ، وتمنح أذنك من المتعة ونفسك من الارتياح ما لاتجده في بعض الشعر والغناء" ([1])

اما ما يخص الكثافة من حيث التعبير فقد بينها الدكتور عبدالعظيم المطعني بقوله : " لنتأمل الشرط الذي بدئت به ولننظر إلي الأشباه والنظائر التي عطفت عليه "([2]) فمن خلالها أدت المتواليات الصوتية لفاصلة التاء دورها التأثيري في المتلقي، ففواصل الآيات هي التاء الساكنة، وهي من الحروف المهموسة وتجاورت الوحدات الصوتية فصارت كالأنغام الموسيقية سريعة الحركة لاهثة الإيقاع تشترك بتصويرها الصوتي في تجسيد المشهد وتمثيله للخيال" ([3])

ولاستخدام حرف التاء سر خاص يقول الدكتور عبدالعظيم المطعني : ولعل السر في ختم هذه الفواصل بالتاء الساكنة الهامسة الإشارة إلي انقضاء حركة الحياة الاولى في الكون، والإيذان بسيطرة الخوف والدهشة علي النفوس والوجوم الذي يغشى الناس {وخشعت الاصوات للرحمن فلأتسمع الا همسا } ([4])

والناظر إلي فواصل القرآن وبخاصة سورتي التكوير والانفطار سيرى أنها قد جاءت علي أسهل الأصوات وأخفها ، وقد اختصت – الفاصلة – بعدة أمور :

1 – ختمها في الغالب بحروف المد واللين وإلحاق النون والميم بها وحكمته التمكن من التطويب ، قال سيبويه : " إنهم – أاي العرب – إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون يريدون مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا " ([5])

2 – أما في القرآن فقد جاءت علي أسهل موقع وأعذب مقطع، فالحروف التي تقع بها الفواصل إما متماثلة أاو متقاربة ، ولا تخرج عنهما كما قال فخر الدين الرازي. ([6])

---

[1] **البيان في روائع القران** ، ص270
[2] **خصائص التعبير القراني** ، ص200
[3] **خصائص التعبير القرآني** ، ص 201
[4] **المصدر السابق** ، ص 201
[5] **الكتاب** ، 2 /298
[6] **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** ، دراسة وتحقيق أحمد حجازي السقاء ، المكتب الثقافي القاهرة ، 1989 ، ص 87 .

3 – فاصلة النون وقعت أيضا في السورتين، ولا يخفى ما فيه من التنغيم علي مستوى الأداء والوقف فضلا عن جرسه المعبر .

وعلي مستوى خاتمة السورة – الانتظار – فقد اختمت بالاستفهام الذي أجيب عنه بقوله تعالى : { ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ }الانفطار الآيات 17، 18، 19، وفي الاستفهام تكرار كما مضى سابقا أفاد التعظيم ليوم الدين، وقيل: أحدهما للمؤمن والثاني للكافر، في مقابل خاتمة سورة التكوير باعتباره جوابا للقسم، ومن خلال النظر إلي خاتمة السورتين فقد ختمتا بالجواب، الأولى جوابا للقسم ، والثانية جوابا للاستفهام عن يوم الدين

الخاتمة

خلص البحث إلي نتائج منها :

1– يعتبر بحث (الأسلوبية الصوتية) مجالاً رحباً لبحث بلاغة القران الكريم بالرؤيتين التراثية الحديثة .

2 – تشمل الأسلوبية الصوتية مع البلاغة الإيقاعية عنصرا تطبيقيا ومجالا دراسيا علي النصوص العربية قرآنا وحديثا وشعرا ونثرا .

3 – أبرزت الأسلوبية الصوتية مع البلاغة الإيقاعية في سورتي التكوير والانفطار جوانب كثيرة من القيم الأسلوبية والإيقاعية تاحدد في :

- التوازن
- الجناس الاشتقاقي وجناس التصريفي
- التوافق علي مستوى الفواصل
- التسميط
- التناسب الصوتي ممثلا في حروف التاء والسين والنون والميم.

4 – تعتبر الأصوات المتفقة في السورتين من حيث الفاصلة مؤدية للمعنى علي مستوى الدلالة ، ومحققة للتصوير اللغوي لمضامين الموضوعات المعروضة في السورتين .

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم
- الحسن بن رشيق ، البلاغة العربية تطور وتاريخ ، دار المعارف ، المطبعة الثامنة ، 1990 م
- عبدالواحد بن الشيخي ، البديع والتوازي ، مطبعة الاشعاع الفنية ، ط ، 1999 م .
- عثمان بن جنى ، الخصائص، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الرسالة، دت .
- عمرو بن عثمان بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة مطبعة المدني، 1991م،
- عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، مؤسسة الرسالة، دت.
- محمد ابراهيم شادي – البلاغة الصوتية في القران الكريم مؤسسة الرسالة القاهرة 1988 م
- محمد بن حمزة الكتاني ، أسرار التكرار في القران الكريم ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطأ، دار الفضيله ، 1977 م .
- محمد بن سليمان ابن النقيب ، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم المعاني والبيان والبديع واعجاز القران كشف عنها وعلق علي حواشيها زكريا سعيد علي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1995 م
- محمد بن صالح الضالع – الأسلوبية الصوتية في القران الكريم ، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ، 2002 م .
- محمد علي الصابوني ، الإبداع البياني في القرآن العظيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006
- محمد بن عمرو الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، دراسة وتحقيق: احمد حجازي السقا المكتب الثقافي ، القاهرة ، 1989 م .
- محمد المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 2014 م.
- محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل في وجوه الاقاويل ، دار الكتاب العربي ، د ت
- مليكا ايفتش ، اتجاهات البحث اللسان ، ترجمة سعيد مصلوح ووفاء كامل فايد الطبعة الثانية ، القاهرة ، 2000 م .